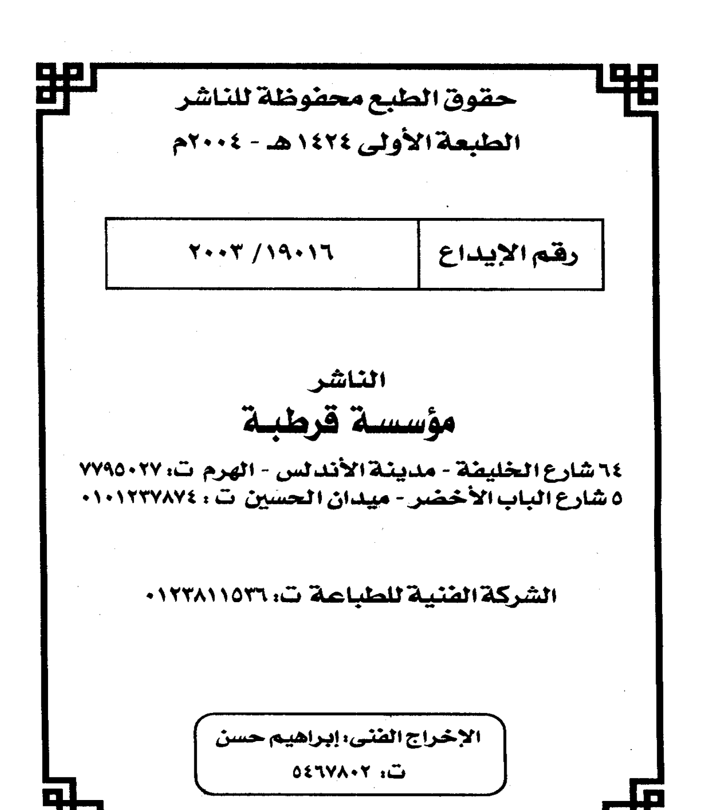

رجـل مـن
أهـل الجنـــة
جمع وترتيب
محمود المصرى
أبو عمار
مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧



الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع	١٩٠١٦/ ٢٠٠٣

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت: ٠١٢٣٨١١٥٣٦

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٥٤٦٧٨٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١). **أما بعد:**

«فاعلموا يا إخوانى - وفقنا الله وإياكم للسداد والائتلاف وعصمنا وإياكم من الشتات والاختلاف - أن الله (عز وجل) قد أعلمنا اختلاف الأمم الماضين قبلنا، وأنهم تفرقوا واختلفوا

فتفرقت بهم الطرق، حتى صار بهم الاختلاف إلى الافتراء على الله (عز وجل) والكذب عليه، والتحريف لكتابه والتعطيل لأحكامه، والتعدى لحدوده، وأعلمنا تعالى أن السبب الذى أخرجهم إلى الفرقة بعد الألفة، والاختلاف بعد الائتلاف هو شدة الحسد من بعضهم لبعض، وبغى بعضهم على بعض، فأخرجهم ذلك إلى الجحود بالحق بعد معرفته، وردهم البيان الواضح بعد صحته، وكل ذلك وجميعه قد قصه الله (عز وجل) علينا، وأوعز فيه إلينا، وحذرنا من مواقعته، وخوفنا من ملابسته. ولقد رأينا ذلك فى كثير من أهل عصرنا وطوائف ممن يدعى أنه من أهل ملتنا»[1].

وإنه مما لا شك فيه أن الأمة المسلمة الآن تمر بمرحلة قاسية نحتاج فيها إلى توحيد الصفوف وتآلف القلوب وسلامة الصدور لتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس.

ولترجع راية الإسلام خفاقة عالية على الكون كله... ولن يكون ذلك إلا إذا تآلفت قلوب أفراد هذه الأمة الميمونة وعاشت فى ظل الأخوة الصادقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

وكما قال (عز وجل): ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

(١) الإبانة/ لابن بطة (١/ ٢٧٠).

﴿الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤).

فهذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ﴾ (الفتح: ٢٩).

فهيا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة التى تصف لنا حال رجل من أهل الجنة كان من أعظم مؤهلاته التى ستُدخله الجنة - بعد التوحيد - أنه لا يحمل لأحد من المسلمين فى قلبه غشًا ولا حسدًا... فنسأل الله (جل وعلا) أن يملأ قلوبنا حبًا لإخواننا المسلمين إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

رجلٌ من أهل الجنة

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا جلوسًا مع الرسول ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه فى يده الشمال فلما كان الغد قال النبى ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضًا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إنى لاحيت أبى فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت، قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله (عز وجل) وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله إنى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعانى فقال: ما

هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطيق»[1].

* ولقد بدأت تلك الرسالة بهذا الحديث لنرى كيف بلغ هذا الصحابى الجليل (الذى لا نعرف اسمه) إلى تلك الدرجة العالية حتى يشهد له النبى ﷺ ثلاث مرات بأنه من أهل الجنة، وذلك لأنه لا يجد فى نفسه لأحد من المسلمين غشًا ولا يحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه... فنحن نحتاج أن نستحضر تلك الصورة المشرقة لنكون مثل هذا الصحابى الجليل عسى الله أن يحشرنا فى الجنة مع هذا الصحابى، ونكون فى صُحبة الحبيب النبى ﷺ.

صفات القلب السليم

إن القلب السليم له صفات جليلة ينبغى أن نتعرف عليها عسى أن يرزقنا الله (جل وعلا) قلبًا سليمًا... فصاحب هذا القلب هو الذى ينجو فى الآخرة، كما قال (جل وعلا): ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨، ٨٩).

---

(١) رواه أحمد والبغوى بسند جيد.

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله):

«القلب السليم هو الذى سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله»[(١)].

ويزيد الإمام ابن القيم (رحمه الله) هذه المسألة إيضاحًا فيقول: «الفرق بين سلامة القلب والبله والتغفل، أن سلامة القلب تكون من عدم إرادة الشر بعد معرفته، فيسلم قلبه من إرادته وقصده لا من معرفته والعلم به، وهذا بخلاف البله والغفلة، فإنها جهل وقلة معرفة، وهذا لا يُحمد إذ هو نقص، وإنما يحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه.

والكمال أن يكون القلب عارفًا بتفاصيل الشر سليمًا من إرادته، قال عمر بن الخطاب ﷺ: لست بخَب ولا يخدعنى الخَبّ، وكان عمر أعقل من أن يُخدع وأورع من أن يَخدع، وقال تعالى: ﴿**إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾ (الشعراء: ٨٩)، فهذا هو السليم من الآفات التى تعترى القلوب المريضة من مرض الشبهة التى توجب اتباع الظن، ومرض الشهوة التى توجب اتباع ما تهوى الأنفس، فالقلب السليم الذى سلم من هذا

(١) الجواب الكافى (ص: ١٢٧).

وهذا»[1].

أخلاق العالم الرباني

وسلامة الصدر مطلبٌ شرعي لكل مسلم، وبخاصة إذا كان من أهل العلم الذين يقتدى بهم الناس من حولهم. . .

قال الإمام الآجري (رحمه الله) وهو يعدد أخلاق العالم الرباني أنه: (لا مداهن، ولا مشاحن، ولا مختال، ولا حسود، ولا حقود، ولا سفيه، ولا جاف، ولا فظ، ولا غليظ، ولا طعّان، ولا لعّان، ولا مغتاب، ولا سبَّاب، يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه وينهاه عما يكره مولاه، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاءً على دينه، سليم القلب للعباد من الغل والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد)[2].

هذا أدب العالم وقريبًا منه ما ذكره ابن جماعة (رحمه الله) عن أدب المتعلم، حيث قال «أن يطهر قلبه من كل غش ودنس وغل وحسد، وسوء عقيدة وخلق ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم صلاة السر وعبادة القلب وقربة الباطن،

---

(1) الروح (ص: 220).

(2) أخلاق العلماء (ص: 54).

وكما لا تصح الصلاة التى هى عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث، فكذلك لا يصح العلم الذى هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها. وإذا طُيِّب القلب للعلم ظهرت بركته ونما كالأرض إذا طُيبت للزرع نما زرعها وزكا، وفى الحديث «إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»[١].

هكذا كان حال النبى ﷺ

لقد كان النبى ﷺ صاحب القلب الرحيم الذى قال عنه (جل وعلا): ﴿**ومَا أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، بل وزكّاه الحق (جل وعلا) فقال: ﴿**وإنك لعلى خُلق عظيم**﴾ (القلم: ٤)، فلم يكن النبى ﷺ يحمل فى صدره إلاّ الحب والرحمة والشفقة على الناس من حوله ولم يكن للحسد والغل فى قلبه حظ ولا نصيب... ولِمَ لا؟ وقد عصمه الله من ذلك واستخرج كل هذا من قلبه.

ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس بن مالك ؓ: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، واستخرج منه علقة

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم (ص: ٦٧) - والحديث متفق عليه.

فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله بطست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه[١]، ثم أعاده فى مكانه، وقد ورد فى رواية أن الذى أُخرج من صدره ﷺ هو «الغل والحسد»[٢]، ومع ذلك فقد كان الله (عز وجل) يأمره بالعفو والصفح والتجاوز، كما فى قوله: ﴿خُذِ العفو وأمُر بالعُرفِ وأعرِضْ عن الجاهلينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

ولذلك كان النبى ﷺ فى غاية الرفق والشفقة بالكون كله من حوله حتى بالعُصاة والكافرين فقد كان النبى ﷺ يتمنى لهم الهداية، بل وكان يبذل كل ما فى وسعه من أجل أن يأخذ بأيديهم إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

وها هى بعض الصور المشرقة

وإليكم جميعًا بعض الصور المشرقة التى توضح لنا صفاء ونقاء قلب النبى ﷺ - وإن كنا لسنا بحاجة إلى أن نقرأ تلك الصور حتى نعرف مدى نقاء وصفاء قلب النبى ﷺ فنحن نعلم يقينًا أن النبى ﷺ هو صاحب أنقى وأتقى وأرحم قلب فى الكون كله.

---

(١) لأمه: أى جمعه وضم بعضه إلى بعض.

(٢) هذه الرواية جاءت فى حديث فى المسند (٥/ ٣٩) عن عبد الله بن الإمام أحمد. قال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢٣) رجاله ثقات وثقهم ابن حبان.

ولكنى أعرض لكم تلك الصور لنتعلم ونتأسى بالنبى ﷺ.

* تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتَهك شىء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»(١).

* «وتأمل حال النبى ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم ويقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون»(٢) كيف جمع فى هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه.

أحدها: عفوه عنهم. والثانى: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون. الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: «اغفر لقومى»، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدى، هذا غلامى، هذا صاحبى فهبه لى»(٣).

فإذا كان هذا حال النبى ﷺ مع أعدائه الكفار فكيف

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨) الفضائل.

(٢) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كأنى أنظر إلى النبى ﷺ يحكى نبيًا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» رواه البخارى ومسلم.

(٣) بدائع الفوائد (٢/٢٤٣).

سيكون حاله إذن مع أصحابه الأبرار؟ تقول عائشة رضي الله عنها: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخابًا فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»[١].

بل إنه لما اشتد إيذاء المشركين للمسلمين قال أصحاب النبى ﷺ - كما عند مسلم -: يا رسول الله ألا تدعو على المشركين؟ فقال ﷺ: «إنى لم أبعث لعانًا، وإنما بُعثت رحمة».

بل وتسأله أمنا عائشة رضي الله عنها وتقول له: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال: «يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، وإن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين، فقال النبى ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[٢].

---

(١) صحيح سنن الترمذى/ للألبانى (١٦٤٠).

(٢) متفق عليه.

فلم يكن (عليه الصلاة والسلام) يغضب لنفسه، ولا يبغض أحدًا لذاته، إنما كان كل أمره لله (عز وجل).

بل تأمل معى هذا الموقف الجليل الذى يفيض بالرحمة والشفقة... كان الطفيل بن عمرو الدوسى ﷺ قد أسلم بمكة، ثم رجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام فلم يزل يدعوهم ويُبطئون عليه حتى يئس منهم ورجع إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن يدعو على دوس - قبيلته - فقال ﷺ: «اللهم اهد دوسًا».

عن أبى هريرة ﷺ قال: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبى ﷺ فقال: إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم»، فقال: «اللهم اهد دوسًا وائت بهم»[1].

* وكان ﷺ حريصًا على سلامة صدور أصحابه تجاهه حتى لا يهلكوا فيه، ومما يدل على ذلك ما رواه البخارى أن صفية زوج النبى ﷺ زارته فى المسجد وهو معتكف، فأراد أن يوصلها فلما بلغ باب المسجد مر رجلان من الأنصار، فسلما على النبى ﷺ، فقال لهما: على رسلكما إنما هى صفية بنت حُيى. فقالا: سبحان الله يا رسول الله... وكَبُرَ عليهما. فقال النبى ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإنى

---

(١) متفق عليه.

خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئًا»[١].

أرأيتم كيف كان النبى ﷺ يحب الخير لكل من حوله ويخشى عليهم من كل سوء - بأبى هو وأمى ﷺ -.

وهؤلاء هم أصحاب الرسول ﷺ

وإذا كان المربى الأول ﷺ هو الذى تولى بنفسه تربية هذا الجيل الفريد من الصحابة ﷺ، فلنا أن نتخيل كيف كانت أخلاقهم وكيف كانت الرحمة والشفقة تفيض من قلوبهم لتنشر شذاها وعبيرها على الكون كله... وليس هناك أدق من وصف الله (عز وجل) لهم حينما قال: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ﴾ (الفتح: ٢٩).

لقد ألَّف الله (عز وجل) بين قلوبهم وامتنَّ بذلك على نبيه ﷺ فقال: ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (الأنفال: ٦٣).

ولذلك كانوا كالجسد الواحد يفرح أحدهم لفرح أخيه، ويحزن لحزن أخيه، ويرحم بعضهم بعضًا، ويعطف بعضهم

---

(١) أخرجه البخارى.

على بعض ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

صور مشرقة من حياتهم رضي الله عنهم

ولقد كانت حياتهم رضي الله عنهم مليئة بالرفق والرحمة والتسامح، ولم يعرف الغل والحسد طريقًا إلى قلوبهم الطاهرة النقية.

قال إياس بن معاوية بن قرة: «كان أفضلهم عندهم أسلمهم صدورًا وأقلهم غيبة»... وعن سفيان بن دينار قال: قلت لأبى بشر: أخبرنى عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا» قال: قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم».

* فعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخى»[1].

فأبو بكر رضي الله عنه جاء ليعتذر منهم فوجد أن قلوبهم لم يداخلها

(١) أخرجه مسلم.

شيء أصلاً فدعوا له بالمغفرة رضي الله عنهم أجمعين.

* وهذا أبو دجانة رضي الله عنه لما دُخل عليه وهو مريض كان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندى من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنينى، والأخرى فكان قلبى للمسلمين سليمًا»[1].

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما عندما شتمه رجل قال له: إنك لتشتمنى وفيّ ثلاث خصال: إنى لآتى على الآية فى كتاب الله (عز وجل) فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فى حكمه فأفرح به ولعلى لا أقاضى إليه أبدًا، وإنى لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به، ومالى به من سائمة»[2].

وعن أبى حبيبة قال: دخلت على (علىّ) مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل، فرحب به ثم أدناه ثم قال: إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك ممن قال فيهم: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾** (الحجر: ٤٧) [3].

بل لما دعا النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه لتجهيز جيش العُسرة – فى

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٣).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٧٥٣).

(٣) السير (١/ ٣٨).

غزوة تبوك - قام أحد الصحابة ﷺ ليتصدق فلم يجد عنده ما يقدمه فبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغّبت فيه، ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسول الله ﷺ ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى فيها مال أو جسد أو عِرض.

فتأمل معى - أخى الحبيب - كيف كان قلب هذا الصحابى الجليل خاليًا من الغل والحقد والحسد مملوءًا بالخير والحب والتسامح لكل إخوانه المسلمين.

بل ولا ننسى أبدًا هذا المشهد الجليل لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه الذى لما طُعن وهو يتهيأ للصلاة، بعد أن مرّ بشوارع الكوفة يوقظ أهلها لصلاة الفجر... قال لبنيه بعد أن علم قاتله: «أحسنوا نُزُله، وأكرموا مثواه، فإن أعش، فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا، وإن أمت، فألحقوه بى، أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بى سواه، إن الله لا يحب المعتدين».

بل ولا ننسى أبدًا موقف أمنا صفية بنت حُيى رضي الله عنها مع جاريتها. قال أبو عمر بن عبد البر: روينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب، فقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود. فبعث عمر يسألها. فقالت: أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة؛ وأما اليهود، فإن لى فيهم رحمًا، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت:

الشيطان، قالت: فاذهبى فأنت حرة[١].

لقد كانت رضي الله عنها تستطيع أن تنتقم لنفسها، ولكنها تعلمت العفو عند المقدرة من صاحب الخلق الرفيع محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

والذين جاءوا من بعدهم

ولم يكن هذا دأب الصحابة رضي الله عنهم فحسب، بل كان ذلك دأب الذين جاءوا من بعدهم وساروا على هديهم وعاشوا على آثار نبيهم صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

فهم يتوجهون إلى الله (عز وجل) فى طلب المغفرة.. لا لأنفسهم فحسب، بل لسلفهم الذين سبقوهم بالإيمان... وفى نفس الوقت يسألون الله (عز وجل) أن يطهر قلوبهم من الغل لأى مؤمن لأن تلك القلوب اجتمعت وتآلفت على توحيد الخالق (جل وعلا) فلا ينبغى أن يكون بينها إلا الحب فى الله (جل وعلا).

---

(١) الاستيعاب (١٣/ ٦٥).

فها هو إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (رحمه الله)، الذى ناله من الأذى ما ناله فصبر واحتسب، وكان موقفه من خصومه أن «جعل كل من آذاه فى حل إلا أهل البدعة، وكان يتلو فى ذلك قوله تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ (النور: ٢٢)، ويقول: ما ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك؟ وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠)»[١].

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يقول عنه تلميذه ابن القيم (رحمه الله): «ما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية»[٢]، ويعنى بالخصال: الصفح والعفو وسلامة الصدر.

قال ابن القيم (رحمه الله): كان بعض أصحاب ابن تيمية الأكابر يقول: وددت أنى لأصحابى كابن تيمية لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد من خصومه قط، بل كان يدعو لهم، وجئته يومًا مبشرًا بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة، وأذى له، فنهرنى وتنكّر لى واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إنى لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو

---

(١) البداية والنهاية (١٠/٣٤٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٥٩).

هذا من الكلام فسُروا به ودعوا له، وعظَّموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضى عنه»[١]، . . . حتى أعداؤه وخصومه شهدوا له بذلك (رحمه الله).

فهذا ابن مخلوف كان من أشد الناس عداوة لشيخ الإسلام، بل إنه ممن أفتى بقتله، كان يقول: «ما رأينا مثل ابن تيمية حرَّضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا»[٢].

الإسلام.. والحرص على سلامة الصدر

لقد حرص الإسلام حرصًا شديدًا على توحيد صفوف هذه الأمة الميمونة وعلى نشر المحبة والإخاء بين أفرادها. . . ومن هنا جاءت وصية الحبيب ﷺ حيث قال - كما فى الصحيحين -: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث».

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

وقال ﷺ - كما عند مسلم -: «مثل المؤمنين فى توادهم

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥٩).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٥٦).

وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): إن سلامة الصدر راحة فى الدنيا وغنيمة فى الآخرة»، وأى لذة ونعيم فى الدنيا أطيب من برد القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته؟! وهل العيش فى الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟»[١]. . . قال قاسم الجوعى: «أفضل العبادة مكابدة الليل وأفضل طريق الجنة سلامة الصدر»[٢]، وقال السقطى (رحمه الله): «من أجلِّ أخلاق الأبرار سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم»[٣].

وسلامة الصدر وصلاح ذات البين أمر من لوازم تقوى الله، ولهذا قرن الله (عز وجل) بينهما فى قوله: ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾ (الأنفال: ١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم»[٤].

ولو تأملنا قول النبى ﷺ - كما فى الصحيحين -: «والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» لوجدنا أننا لا نستطيع أن نمتثل قول النبى ﷺ إلا إذا

(١) الجواب الكافى (ص: ١٢٧). (٢) بستان العارفين (ص: ٣٤).
(٣) آداب العشرة (ص: ١٤). (٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٥).

سلمت صدورنا تجاه كل أخٍ مسلمٍ فى هذا الكون.

قال ابن رجب (رحمه الله): (وهذا الحديث يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا إنما يأتى من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد)(١).

ولما سُئل ﷺ عن أفضل الناس عدَّ من الصفات التى تؤهل العبد لأن يكون كذلك سلامة الصدر، ففى حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أى الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان»، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد»(٢).

فانظر كيف بدأ النبى ﷺ بتقوى القلب التى من ثمراتها سلامته من الإثم والبغى والغل والحسد.

بل إنه (عليه الصلاة والسلام) جعل درجة صلاح ذات البين وإصلاحها، أفضل من درجة نوافل الصلاة والصيام والصدقة، فقال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين»(٣).

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٠٦).

(٢) صحيح ابن ماجة/ للألباني (٣٣٩٧).

(٣) صحيح سنن أبي داود/ للألباني (٤١١١).

ولذلك كان النبى ﷺ من أعظم الأسباب التى ألَّف الله بها بين الأوس والخزرج الذين دامت الحروب بينهم لسنوات عديدة.

فلقد جاء رسولنا ﷺ على حين فترة من الرسل، فى مجتمع غلبت عليه العداوة والبغضاء والشحناء، ولم يبق فيه إلا أخوة المادة والمصلحة. ذكر ابن إسحاق: أن النبى ﷺ لما كلّم مَن كلَّم من الخزرج فى الموسم، وعرض عليهم الإسلام فقبلوا، قالوا: «إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك»[(١)]. وفعلاً جمع الله به القلوب حتى قال مرة (عليه الصلاة والسلام): «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بى، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى»[(٢)]، . . . قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

الإسلام يتعاهد قلبك فى كل لحظة

والإسلام يتعاهد النفوس والقلوب ليغسلها من الأحقاد بشكلٍ دائم ومستمر، فالقرآن يُذكرنا دائمًا بأن المسلم الذى

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٤٢٩).

(٢) متفق عليه.

اجتمع معك على توحيد الخالق (جل وعلا) هو أخوك وحبيبك كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠).

والنبى ﷺ يرسخ هذا المعنى فى أذهاننا فيقول ﷺ - كما فى الصحيحين -: «المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمهُ ولا يُسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان اللهُ فى حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ كربةً، فرَّج اللهُ عنه بها كربةً من كربِ يوم القيامةِ، ومن ستر مسلمًا، ستره اللهُ يوم القيامة».

فإذا حدث شيء من الحسد أو التشاحن بين مسلمين فإن الإسلام يتعاهد تلك النفوس ليغسلها من الأحقاد (أسبوعيًا وسنويًا).

أما الأولى فقد قال ﷺ - كما عند مسلم - «تُعرضُ أعمالُ الناسِ فى كل جمعة مرتين: يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد مؤمن، إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناء، فيقال اتركوا هذين حتى يفيآ».

وقال ﷺ - كما عند مسلم -: «تُفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر فيها لكل عبد لا يُشرك بالله شيئًا؛ إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا».

وأما الثانية فقد قال ﷺ: «إذا كان ليلةُ النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين، ويُملى

للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»[١].

هكذا نجد أن الإسلام يتعاهد قلوب العباد في كل لحظة من لحظات حياتهم حتى لا يبقى فى القلوب غلٌ ولا غش ولا حسد، بل تبقى القلوب صافية نقية يملؤها الود والرحمة والمحبة.

أهل الجنة هم أصحاب القلوب السليمة

وسلامة الصدر نعمة من النعم التى توهب لأهل الجنة حينما يدخلونها، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧)، وقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (الأعراف: ٤٣).

فأهل الجنة لا اختلاف بينهم ولا تباغض فقلوبهم على قلب رجلٍ واحد كما أخبر النبى ﷺ، حيث قال - كما فى الصحيحين - «... لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجلٍ واحد يسبحون الله بُكرة وعشيًا».

فأصل الإحساس بالغل يُنزع من صدورهم، ولا تكون إلا الأخوة الصافية، فمن كانت هذه الخصلة فيه فى الدنيا فإنها من المبشرات له بأن يكون من أهلها يوم القيامة»[٢].

---

(١) رواه البيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٧١).

(٢) فى ظلال القرآن/ سيد قطب (٤/ ٢١٤٥) بتصرف.

ولذلك أخبر النبى ﷺ أن دخول الجنة ابتداءً لا يكون إلا بمحبة أهل الإيمان، فقال ﷺ - كما عند مسلم -: «والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

حكمة جليلة

ومن أجل نشر المحبة والمودة بين المسلمين... ومن أجل إقامة مجتمع إسلامى مثالى تتآلف فيه القلوب وتجتمع على الحب فى الله حضَّ الإسلام على الإصلاح بين المسلمين، بل ورخَّص فى الكذب من أجل الإصلاح بين المتخاصمين.

قال تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ (النساء: ١١٤).

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «ليس الكذاب بالذى يُصلح بين الناس فينمى خيرًا ويقول خيرًا».

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة»[1].

ومن أجل ذلك حرَّم الإسلام السعى بالنميمة بين الناس؛

(١) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩٥).

لأنها تُشعل نار الفتنة بين المسلمين.

قال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «لا يدخل الجنة نمام».

بل وأخبر النبى ﷺ أن السعى بين الناس بالنميمة من أعظم أسباب عذاب القبر.

ففى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: مرَّ بقبرين فقال: «إنهما يُعذبان، وما يُعذبان فى كبير، بلى إنه كبير: أما أحدهما، فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله».

الحسد المحمود... والحسد المذموم

إن المؤمن لا يحسد أحدًا على نعمة أنعم الله بها عليه؛ لأنه يعلم يقينًا أن الدنيا بكل ما فيها لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وأن الدنيا لا يُحسد عليها لذاتها، وإنما لمن استعملها فى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجلٍ آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٍ آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

وفى رواية قال ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتنى أُوتيت مثلَ ما أُوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل،

ورجل آتاه الله مالاً، فهو يُهلكه في الحق، فقال رجلٌ: ليتني أُوتيت مثل ما أُوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل».

والحسد هنا بمعنى الغبطة: وهي تمني مثل ما عند الغير دون تمني زوال النعمة من عند الغير... وهذا هو الحسد المحمود، وهو بمثابة التنافس في أمر الآخرة، كما قال تعالى: **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾** (المطففين: ٢٦).

أما الحسد المذموم فهو أن يتمنى الإنسان زوال النعمة من عند الغير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، ولكن اللئيم يُبديه والكريم يخفيه»[1].

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا

لقد أمرنا الحق (جل وعلا) بأن نعتصم ولا نتفرق فقال (جل وعلا): **﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا...﴾** (آل عمران: ١٠٣).

وحذرنا الحق (جل وعلا) من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم من قبلنا، فقال تعالي: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ**

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٤).

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣١، ٣٢).

بل وحذرنا الحق (جل وعلا) من مكائد الشيطان ومن كل الأسباب التى تمكِّن الشيطان من التفريق بين المسلمين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١).

إذ أن الاختلاف شر وفتنة، ولذلك فإن الشيطان يجعله فى المرتبة الثانية بعد الشرك بالله، فهو متى ما رأى أن باب عبادة الخلق له مغلق أتى من هذا الباب بالتحريش وإيغار الصدور، وفى ذلك يقول النبى ﷺ - كما عند مسلم -: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكن فى التحريش بينهم».

أسباب التشاحن والتباغض والقطيعة

وأما عن أسباب التشاحن والتباغض والقطيعة فهى كثيرة

جدًا، ولكن سأذكر بعض تلك الأسباب عسى الله أن يعيننا على البُعد عنها، وأن يجعلنا من المتحابين بجلاله الذين يُظلهم فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

أولاً: عدم تحقيق التوحيد لله (جل وعلا):

فمن المعلوم أن أعظم شىء تجتمع عليه القلوب هو توحيد الله (جل وعلا)، فإذا وقع أفراد الأمة فى الشرك فإن الله (عز وجل) يُلقى بينهم العداوة والبغضاء؛ لأنهم لم يوحدوا رب الأرض والسماء.

ثانيًا: كثرة الذنوب والمعاصى:

قال ﷺ: «ما توادَّ اثنان فى الله فيُفرَّق بينهما إلا بذنبٍ يُحدثه أحدهما»[1].

فالطاعة تجمع القلوب.. والمعصية تفرق بين القلوب، ولذلك فإن من أعظم أسباب التشاحن والتباغض والقطيعة انتشار المعاصى فى المجتمع المسلم.. فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة. قال أحد السلف: «إنى لأعصى الله فأرى ذلك فى خُلُق دابتى وامرأتى»، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (الأنعام: ٦٥).

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد - صحيح الجامع (٥٦٠٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

ثالثا: الشيطان:

فالشيطان قد جعل همه الأول والأخير أن يغوى بنى آدم وأن يُفرق بينهم، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣).

وقال ﷺ - كما عند مسلم -: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكن فى التحريش بينهم».

رابعًا: النميمة:

فمن المعلوم أن السعى بين الناس بالنميمة يُشعل نار الفتنة بين أفراد المجتمع المسلم ويجعل القلوب متنافرة بدلاً من أن تكون متآلفة. ولذا كان الجزاء من جنس العمل... فكما أشعل النمام نار الفتنة بين المسلمين فى الدنيا فإن الله (عز وجل) يشعل عليه قبره نارًا، بل ويحرمه يوم القيامة من دخول الجنة، كما قال ﷺ - كما فى الصحيحين-: «لا يدخل الجنة نمام».

خامسًا: سوء الظن بالمسلمين:

فمن المعلوم أن القلب إذا مرض فإن صاحبه يُسىء الظن بمن

حوله، وإذا أساء الظن فإنه يتجسس على أخيه ليتأكد من ظنه الذى يظنه بأخيه.. وإذا تجسس فإنه قد يرى أشياء على أخيه فيقع فى الغيبة. وهكذا فإن معظم النار من مستصغر الشرر.

ولذا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (أى اجتنبوا ظن السوء بالمسلم، فلا تتهموا أحدًا بالفاحشة ما لم يظهر عليه ما يقتضيها، والظن تهمة تقع فى القلب بلا دليل)[١].

وأما ما يُروى عن النبى ﷺ أنه قال: «احترسوا من الناس بسوء الظن» فإنه حديث لا يصح[٢].

فالمؤمن لا يُسىء الظن بأحد من المسلمين أبدًا، بل ينبغى عليه أن يُحسن الظن بإخوانه.

سادسًا: الغضب:

فالغضب يجعل الإنسان يخرج عن شعوره فيؤذى الناس من حوله بكلمات نابية لا يحب أحد أن يسمعها، ولذلك كان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة،

(١) شرح الزرقانى على موطأ مالك (٤/ ٢٦٣).

(٢) انظر السلسلة الضعيفة (١٥٦).

وأسألك كلمة الإخلاص فى الرضا والغضب»[١].

ولما طلب منه أحد الصحابة أن يوصيه قال له ﷺ - كما عند البخارى -: «لا تغضب».

قال جعفر بن محمد: (الغضب مفتاح كل شر).

وقال ابن رجب (رحمه الله): «وقد مدح الله من يغفر عند غضبه فقال: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ (الشورى: ٣٧)؛ لأن الغضب يحمل صاحبه على أن يقول غير الحق ويفعل غير العدل، فمن كان لا يقول إلا الحق فى الغضب والرضا دل ذلك على شدة إيمانه وأنه يملك نفسه»[٢].

سابعًا: الحسد:

وهو من أعظم أسباب الغيبة؛ لأن الحاسد يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه، فيريد أن يُسقط ماء وجهه عند الناس، حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه؛ لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له[٣].

حيث إنه «يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما»، وهو الذى سماه النبى ﷺ داء الأمم فقال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم

---

(١) رواه النسائى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠١).

(٢) شرح حديث عمار بن ياسر/ لابن رجب (ص: ٢٨).

(٣) الإحياء (٣/ ١٥٦).

الحسد والبغضاء»[1]. فالنبى (عليه الصلاة والسلام) (قرن فى الحديث بين الحسد والبغضاء؛ لأن الحاسد يكره أولاً فضل الله على ذلك الغير، ثم ينتقل إلى بغضه، فإن بغض اللازم يقتضى بغض الملزوم)[2].

وأقبح أنواع الحسد هو ما يكون بين المنتسبين إلى العلم والدعوة.

ثامنًا: الوقوع فى البدع:

«وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته، والسنة لابد لها من طائفة تبينها وتقوم عليها، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعًا وأحزابًا، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء، وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض»[3].

تاسعًا: كثرة المنافقين:

فالنفاق هو السوس الذى ينخر فى عظام الأمة المسلمة... فأهل النفاق هم الذين يندسون بين صفوف الأمة المسلمة للإيقاع بين أفرادها وإحداث الفتنة بينهم... فهم كما وصف

(1) صحيح سنن الترمذى/ للألبانى (٢٠٣٨).

(2) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٧).

(3) البدعة، أسبابها ومضارها، للشيخ محمود شلتوت (٥٨).

الله أهل الكتاب: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمران: ١٢٠)، ولذلك فهم يستخدمون ما يقدرون عليه من الطرق التى يتحقق بها التفريق بين المؤمنين، فيلبسون مسوح الضأن على قلوب الذئاب، ويُظهرون التدين والنصح للأمة، وقد يطبعون الكتب ويوزعون الأشرطة مجانًا ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: ١٠٧).

عاشرًا: التنافس على الدنيا:

فأهل الدنيا الذين يلهثون وراءها هم أكثر الناس عُرضة للتشاحن والتباغض.. أما أهل الدين الذين لا تشغلهم الدنيا وزهرتها الفانية فإن الله (عز وجل) يُلقى بينهم المحبة والمودة.

قال ﷺ يومًا لأصحابه - كما عند مسلم -: «إذا فُتحت عليكم فارس والروم أى قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله ﷺ: «أَوَ غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون».

قال ابن الجوزى (رحمه الله): تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون»[١].

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢١).

الحادى عشر : الجدال والمراء :

قال بعض السلف: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرًا أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل»، . . . ولما سمع الحسن قومًا يتجادلون قال: «هؤلاء ملُّوا العبادة، وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا».

قال ابن رجب (رحمه الله): «ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصام والمراء فى مسائل الحلال والحرام أيضًا، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام وإنما أُحدث ذلك بعدهم».

وعن أبى أمامة ﷺ قال: قال ﷺ : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: ٥٨)[١][٢].

وقال الآجرى (رحمه الله): «وعند الحكماء أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان ويورث التفرقة بعد الألفة والوحشة بعد الأنس»[٣]، وقال مالك (رحمه الله): المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن»[٤].

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (ص: ٣٢).

(٢) صحيح سنن الترمذى/ للألبانى (٢٥٩٣).

(٣) أخلاق العلماء (ص: ٥١). (٤) الإحياء (٣/ ١٢٦).

الثانى عشر : حب الرياسة :

فمن المعلوم أن حُب الرياسة شىءٌ متأصل فى قلوب أهل الدنيا... ومن المعلوم أيضًا أن حرص كل واحد منهم على الرياسة والزعامة يجعل قلبه ممتلأً غلاً وحسدًا لمن ينافسه على هذا المنصب الذى يسعى إليه.

قال الفضيل بن عياض (رحمه الله): «ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحدًا بخير».

وقال أبو نعيم: «والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة»(١).

وقال شداد بن أوس رضي الله عنه: «يا بقايا العرب: إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية» قيل لأبى داود ما الشهوة الخفية؟ قال: «حب الرياسة» قال شيخ الإسلام معلقًا: «فهى خفية تخفى عن الناس وكثيرًا ما تخفى على صاحبها»(٢).

الثالث عشر : التعصب لغير الحق :

فمن الناس من يتعصب لقبيلته أو لحزبه أو لجماعته... وهذا أمرٌ مذموم. فقد قال ﷺ - كما عند مسلم -: «من

---

(١) جامع بيان العلم (ص: ٢٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٤٦).

قُتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية».

وعند البخارى أن النبى (عليه الصلاة والسلام) أنكر على من استغاث بالمهاجرين ومن استغاث بالأنصار، وقال: «ما بال دعوى الجاهلية»، وقال: «دعوها فإنها خبيثة» وفى رواية قال: «دعوها فإنها منتنة».

وقال ابن القيم (رحمه الله): «وإنما كثر الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله، وهم الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعًا كل فرقة تنصر متبوعها وتدعو إليه وتذم من خالفها ولا يرون العمل بقولهم، حتى كأنهم ملة أخرى سواهم يدأبون ويكدحون فى الرد عليهم، ويقولون: كتبهم وكتبنا وأئمتهم وأئمتنا ومذهبهم ومذهبنا،... هذا والنبى واحد والدين واحد والرب واحد، فالواجب على الجميع أن ينقادوا إلى كلمة سواء بينهم كلهم وأن لا يطيعوا إلا الرسول ﷺ، ولا يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه ولا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله»[1].

الرابع عشر: اتباع الهوى:

فاتباع الهوى يجعل القلوب متفرقة.. وأما اتباع الشرع

(١) أعلام الموقعين (٢/ ١٧٣).

فيجمع شتات القلوب... قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ (القصص: ٥٠).

وعدَّ النبي ﷺ الهوى من المهلكات فقال: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[١].

قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله): «لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تُثاب على ما اتبعته من الحق وتعاقَب على مخالفته».

وقال ابن رجب (رحمه الله): «ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم وكل منهم يظهر أنه يبغض لله، وقد يكون في نفس الأمر معذورًا، وقد لا يكون معذورًا، بل يكون متبعًا لهواه مقصرًا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه»[٢]، قال ابن الجوزي (رحمه الله): «من ركب الهوى هوى به»[٣].

الخامس عشر: كثرة المزاح:

إن الشرع لا يُحرم المزاح، بل إن المزاح مطلوبٌ أحيانًا من أجل تأليف القلوب.. وإنما المذموم هنا هو كثرة المزاح،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٦٧).

(٣) المدهش (ص: ٥١٧).

وبخاصة إذا كان فيه نوع من السخرية بالآخرين... فالمزاح كالملح فى الطعام إذا كثر أو عدم فسد الطعام، وإذا وُضع فيه بالقدر المعقول جعل الطعام طيبًا.

قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله): «إياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح»، وقيل: «لكل شىء بذور وبذور العداوة المزاح»[(١)].

السادس عشر: البغى فى الخلاف:

إن المؤمن لابد أن يكون مُنصفًا فإذا اختلف مع أخيه المسلم فلا ينبغى أن يحمله هذا الخلاف على البغى والعدوان.

قال الإمام الشاطبى: (كل مسألة حدثت فى الإسلام، واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة، علمنا أنها ليست من أمر الدين فى شىء»[(٢)].

فإن (الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغى لا لمجرد الاجتهاد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي

(١) الإحياء (٣/ ١٣٧). (٢) الاعتصام (٢/ ٧٣٤).

شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، فلا يكون فتنة ولا فرقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغى)[١] «وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين سواء كان قولاً أو فعلاً»[٢].

(قال يونس الصدفى: ما رأيت أعقل من الشافعى ناظرته يومًا فى مسألة ثم افترقنا ولقينى فأخذ بيدى ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق فى مسألة واحدة؟)[٣]، وكان الإمام أحمد يذكر إسحاق بن راهويه فيمدحه ويثنى عليه ويقول: «لم يعبر الجسر إلى خُراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا فى أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا»[٤].

السابع عشر: النجوى بين المؤمنين:

إن النجوى بين المؤمنين تجعل القلوب تسىء الظن بمن حولها، ومن ثَم تقع الغيبة والنميمة فتمتلئ القلوب بالحقد والضغينة، ولذلك نهى الحق (جل وعلا) عن النجوى؛ لأنها

---

(١) الاستقامة (١/ ٣١). (٢) الاستقامة (١/ ٣٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧١).

من الأشياء التى تفتح الأبواب للشيطان ليوقع بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (المجادلة: ١٠).

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس فإن ذلك يُحزنه».

قال صاحب الظلال: «إن رؤية المسلمين للوسوسة والهمس والانعزال بالحديث تبث فى قلوبهم الحزن والتوجس، وتخلق جوًّا من عدم الثقة، والشيطان يغرى المتناجين ليحزنوا نفوس إخوانهم ويدخلوا بها الوساوس والهموم»[1].

الثامن عشر: عدم تسوية الصفوف فى الصلاة:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»[2].

قال النووى (رحمه الله): والأظهر - والله أعلم - أن معناه: يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال: تغير وجه فلان، أى: ظهر لى من وجهه كراهة لى وتغير قلبه علىَّ؛ لأن مخالفتهم فى الصفوف مخالفة فى ظواهرهم،

(١) فى ظلال القرآن (٥/ ٣٥١٠).
(٢) أخرجه مسلم.

واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن»[١].

آثار التنازع والفرقة

إننا حينما نتأمل فى تلك المصائب التى حلَّت بالأمة المسلمة نعلم يقينًا أن من أعظم الأسباب فى ذلك فساد ذات البين.

فتعالوا بنا لنتأمل سويًا بعض آثار التنازع والفُرقة عسى الله أن يجمع قلوبنا على الحب فى الله، وأن يجمع كلمتنا على التوحيد.

أولاً: ضعف الأمة المسلمة:

قال تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ (الأنفال: ٤٦)، ومن المعلوم أن المستفيد الأول من تفرق الأمة وتنازعها هم الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر ويتمنون من أعماق قلوبهم أن يستأصلوا شأفة الإسلام والمسلمين، ولذلك فإن المسلمين يجب أن ينتبهوا لذلك حتى لا يكونوا سببًا فى ضعف الأمة وتفرقها فإن الاجتماع قوة.

وصدق من قال:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسُّرًا

وإذا افترقن تكسرت آحادًا

(١) مسلم بشرح النووى (٤/ ١٥٧).

ثانيًا: الحرمان من خيرات الدنيا والآخرة:

فمن المعلوم أن تماسك الأمة وتكاتف أفرادها يرتقى بالأمة من الحسن إلى الأحسن ويجعلها مشعل هداية للبشرية كلها من حولها... فتزدهر الأمة ويعم الخير على جميع أفرادها، أما إذا تفرقت الأمة فإن ذلك إهدار لجهود الأمة وحائل بينها وبين أى تقدم.

أما بالنسبة لأمر الآخرة فلقد أسلفنا أن الله (عز وجل) يغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلا من كانت بينه وبين أخيه شحناء. فالعبد يُحرم من المغفرة بسبب الشحناء.

بل إن الأمة حُرمت من معرفة ليلة القدر بسبب التشاحن؛ ففى الصحيحين عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: «خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرُفعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة».

وفى رواية مسلم «فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان» قال النووى: «ومعناه يطلب كل واحد منهما حقه ويدَّعى أنه المحق، ... وفيه أن المخاصمة والمنازعة مذمومة، وأنها سبب للعقوبات المعنوية»[1].

(١) مسلم بشرح النووى (٨/ ٦٣).

ثالثا: الخوف من سوء الخاتمة:

فمن المعلوم أن فساد ذات البين قد يصل إلى الهجر والقطيعة، مما يُعرض المسلم إلى تلك العقوبة التى أخبر عنها النبى ﷺ حيث قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجره فوق ثلاث فمات دخل النار»[1].

هل هناك حقدٌ شرعى

والسؤال الذى يخطر على البال: هل هناك حقدٌ شرعى؟

والجواب: نعم هناك حقدٌ شرعى، وهو أن يحقد المؤمن على اليهود والكافرين وأن يبغضهم لله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١٤، ١٥).

ولكن المؤمن لا يحمله هذا الكُره للكافرين على أن يظلمهم؛ لأن ظُلم الكافر حرام، كما قال سيد الأنام ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب»[2].

فالمؤمن لابد أن يحب ويكره، كما قال ﷺ: «من أحب

---

(١) صحيح سنن أبى داود/ للألبانى (٤١٠٦).

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[١].

ولكنه مع ذلك يكره كُرهًا ممزوجًا بالشفقة فهو يكره الكافر لكفره، ولكنه مع ذلك يشفق عليه من عذاب جهنم، ويتمنى من أعماق قلبه أن يكون سببًا فى إسلام هذا الكافر حتى يأخذ بيديه إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

السلام العالمى لن يكون إلا بعد نزول المسيح (عليه السلام)

وقد يسأل سائل ويقول: متى يأتى السلام العالمى الحقيقى؟

والجواب: إن ذلك لن يكون إلا بعد نزول المسيح عيسى (عليه السلام)... وقبل ذلك كله جهاد فى سبيل الله (جل وعلا).

قال ﷺ - كما عند مسلم -: «والله لينزلن عيسى بن مريم حكمًا عادلاً... وليضعنَّ الجزية ولتُتركنَّ القلاص[٢]، فلا يُسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليُدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد».

وفى رواية أحمد: «ولتذهبن الشحناء من قلوب الناس... وتُملأ الأرض من السلم كما يُملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة

---

(١) رواه أبو داود والضياء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٢) القلاص: الناقة الشابة.

واحدة وتضع الحرب أوزارها».

فتأمل معى كيف أن الشحناء والتباغض والتحاسد تُنزع من قلوب الناس فى هذا الزمان ويصبح الناس فى غاية الحب والتآلف والمودة.

وسائل دفع الحسد.. وموقف المسلم من حاسديه

إن الذى يتدبر كتاب الله يجد فيه مصير أهل البغى والحسد وعاقبة المتقين كما فى قصة قابيل وهابيل، وقصة يوسف مع إخوته، وكذلك يجد صفات الدعاة الصادقين فى دعوتهم، والذين كانت قلوبهم سليمة من الغل والحسد، كما فى قصة صاحب يس الذى قال بعد أن قتله قومه: ﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ (يس: ٢٦، ٢٧).

والإنسان لا يخلو أبدًا من عدو يتربص به الدوائر ويكيد له بالليل والنهار... وبخاصة إذا كان من ورثة الأنبياء.

قال (عز وجل): ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وقال (عليه الصلاة والسلام): «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد

بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتُلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[١].

قال ابن عبد البر (رحمه الله): لقد رأينا البغى والحسد قديمًا، ألا ترى إلى قول الكوفى فى سعد بن أبى وقاص إنه لا يعدل فى الرعية ولا يغزو فى السرية ولا يقسم بالسوية، . . . وسعدٌ بدرى وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب الشورى فيهم، وقال: توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ[٢].

* فتعالوا بنا لنرى ما هى الوسائل التى يُدفع بها الحسد، وما هو موقف المسلم من حاسديه.

أولاً: تجريد التوحيد لله (جل وعلا):

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره، فيرى أن إعماله فكره فى أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه

(١) رواه أحمد والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٢).
(٢) جامع بيان العلم (ص: ٥١٨).

شغل شاغل والله يتولى حفظه والدفع عنه فإن الله يدافع عن الذين آمنوا[١].

«فالتوحيد حصن الله الأعظم الذى من دخله كان من الآمنين. قال بعض السلف: «من خاف الله خافه كل شىء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شىء[٢].

قال تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ** ﴾ (يونس: ١٠٧)، قال النبى ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف»[٣].

ثانيًا: التوبة:

«فيجرد التوبة إلى الله من الذنوب التى سلطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ (الشورى: ٣٠)، وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ: ﴿ **أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ**

---

(١) فقه الحسد/ للشيخ مصطفى العدوى (ص: ٧٧).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٥).

(٣) رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

﴿أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٦٥).

فما سُلِّط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره»[1].

ثالثًا: تقوى الله (جل وعلا):

قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: ١٢٠).

فالصبر وتقوى الله (سبحانه وتعالى) يدفعان كيد الكائدين ومكر الماكرين، وقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك..».

وكما قال ابن القيم (رحمه الله): فمن حفظ الله حفظه الله ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فمن يخاف ومن يحذر؟!!

رابعًا: التوكل على الله:

قال ابن القيم (رحمه الله) (التفسير القيم): والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبُه أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٢).

لعدوه ولا يضره إلا أذى لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٣، ١٧٤).

خامسًا: عدم إخبار الحاسد بنعمة الله عليك:

ولذلك قال يعقوب ليوسف (عليهما السلام): ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف: ٥).

ومن هذا الباب وصية رسول الله ﷺ لمن رأى رؤيا يحبها أن لا يقصها إلا على من يحب.

ففى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا فكره منها شيئًا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان فإنها لا تضره ولا يخبر بها أحدًا. فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها إلا من يحب».

سادسًا : التعوذ بالله من شر كل حاسد :

وذلك بقراءة المعوذات. . . فقد قال ﷺ لأحد الصحابة: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»(١).

قال ابن القيم (رحمه الله) - في تفسير سورة الفلق -: فهذه السورة من أكبر أدوية الحسد فإنها تتضمن التوكل على الله والالتجاء إليه والاستعاذة به من شر حاسد النعمة فهو مستعيذ بولى النعم ومُوليها كأنه يقول يا من أولانى نعمته وأسداها إلىَّ أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها منى ويزيلها عنى، وهو حسب من توكل عليه وكافى من لجأ إليه وهو الذى يؤمِّن خوف الخائف ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

سابعًا : فراغ قلب المحسود عن الاشتغال بالحاسد :

ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود فراغ قلب المحسود من الاشتغال بالحاسد والفكر فيه، . . . قاله ابن القيم، وقال (رحمه الله): وأن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه،

(١) رواه الترمذى والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠٤٤).

بل انعزل عنه لم يقدر عليه، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر.

ثامنًا: الصبر على الحاسد:

قال ابن القيم (رحمه الله) «فى بيان ما يندفع به شر الحاسد عن المحسود»: الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً فما نُصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله ولا يستطل تأخيره وبغيه فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندًا وقوة للمبغى عليه المحسود يقاتل به الباغى نفسه وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغى عليه ذلك لسرَّه بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغى دون آخره ومآله، وقد قال تعالى ﴿**ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغى عليه لينصرنه الله**﴾ فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً فكيف بمن لم يستوف شيئًا من حقه، بل بُغى عليه وهو صابر؟

تاسعًا: العدل مع الحاسد:

وفى ذلك يقول (جل وعلا): ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ (المائدة: ٨).

«فنهى أن يحمل المؤمنين بغضُهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل

الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالمًا له[١].

* «شتم رجل أبا ذر ﷺ فقال له: يا هذا لا تغرقنَّ في شتمنا ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»[٢].

عاشرًا: الإحسان إلى الحاسد:

قال ابن القيم (رحمه الله): وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي، والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذًى وشرًا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا وله نصيحةً وعليه شفقةً وما أظنك تُصدق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله (عز وجل): **﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** (فصلت: ٣٤: ٣٦) وقال: **﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**

---

(١) الاستقامة (١/٣٨).	(٢) بهجة المجالس (١/٤١٨).

(القصص: ٥٤) وتأمل حال النبى ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» كيف جمع فى هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه.

أحدها عفوه عنهم، والثانى استغفاره لهم، والثالث اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: «اغفر لقومى».

الحادى عشر: الرقية:

ومن أسباب دفع الحسد (الرقية).

ففى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ فقال: «نعم» قال: باسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسدٍ الله يشفيك باسم الله أرقيك.

الثانى عشر: اغتسال الحاسد:

ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود اغتسال الحاسد (أعنى غسل بعض أعضائه على ما سيرد» وصب ماءه على المحسود.

ففى صحيح مسلم من حديث ابن عباس ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال: «العين حق، ولو كان شىء سابق القدر سبقته العين، وإذا استُغسلتم فاغتسلوا».

وفى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن عائشة قالت: كان

يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين.

قال النووى فى شرح مسلم: وصفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح فى الأرض، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها فى القدح، ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه، ثم يأخذ بشماله ماءً يغسل به كفه اليمنى، ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين، ثم يغسل قدمه اليمنى، ثم اليسرى على الصفة المتقدمة، وكل ذلك فى القدح، ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلى الذى يلى حقوه الأيمن، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفرج (وجمهور العلماء على ما قدمناه) فإذا استكمل هذا صبَّه من خلفه على رأسه، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس فى قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بألا يعقل معناه.

الطريق إلى سلامة الصدر

أيها الأخ الحبيب: اعلم أن سلامة الصدر مطلب شرعى يتمناه كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر... لكن يا تُرى كيف الطريق إلى سلامة الصدر؟ هذا هو العنصر الذى أختم به تلك الرسالة... وسأذكر الوسائل التى نصل من خلالها إلى سلامة الصدر عسى الله أن يُصلح فساد قلوبنا.

أولاً : إقامة التوحيد لله (جل وعلا) :

فإن العبد إذا أقام التوحيد لله (جل وعلا) بقلبه وجوارحه . . . وذلك بأن يحقق التوحيد بكل أنواعه من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فإن ذلك يظهر على أخلاقه ومعاملاته وسلوكياته، ويجعله راضيًا عن قضاء الله (جل وعلا) فلا يحسد أحدًا، ولا يحقد على أحدٍ من العباد.

فعلى سبيل المثال إذا علم العبد أن من أسماء الله (جل وعلا) أنه الحكيم علم يقينًا أن الحكيم (جل وعلا) هو الذى يضع الشىء فى موضعه . . . وبذلك يرضى العبد إذا وجد غيره غنيًا ووجد نفسه فقيرًا؛ لأنه يعلم أن الله لا يفعل ذلك إلا لحكمة جليلة لا يعلمها أحدٌ من البشر.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** ﴾ (الإسراء: ٣٠)، أى: خبير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر . . . فمن العباد من لا يصلح حاله إلا بالغنى ومنهم من لا يصلح حاله إلا بالفقر . . . والرزق ليس دليلاً على محبة الله للعبد فالله (عز وجل) يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطى الآخرة إلا لمن يحب.

ثانيًا : الإخلاص :

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ثلاث

لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[١].

قال ابن القيم (رحمه الله): «أى لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفى عنه غله وتنقيه منه وتخرجه عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً، . . . ودواء هذا الغل، واستخراج أخلاطه، بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة»[٢].

ثالثا - إفشاء السلام:

قال ﷺ - كما عند مسلم -: «والذى نفسى بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

قال ابن عبد البر (رحمه الله): فى هذا دليل على فضل السلام لما فيه من رفع التباغض وتوريث الود، ولقد أحسن القائل:

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم
ود فيزرعه التسليم واللطف[٣]

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٨٣) وصححه الألباني في المشكاة برقم (٢٢٩).

(٢) مدار ج السالكين (٢/ ٩٤).

(٣) التمهيد (٦/ ١٢٨).

ومن المعلوم أن السلام يجعل القلوب تتآلف وتشعر بالمودة والمحبة لما فى إفشاء السلام من إحساس المسلم بقدره ومكانته فى قلب أخيه المسلم.

رابعًا: قراءة القرآن:

فالقرآن هو دواء القلوب وشفاء الصدور... قال تعالى: ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾ (فصلت: ٤٤)، وقال: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ (الإسراء: ٨٢)، قال ابن القيم (رحمه الله): «والصحيح أن (من) هاهنا لبيان الجنس لا للتبعيض،... وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ (يونس: ٥٧).

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة»... إلى أن قال: «وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذى لو نزل على الجبال لصدّعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمرض القلوب والأبدان إلا وفى القرآن سبيل الدلالة على دوائه، وسببه، والحمية منه، لمن رزقه الله فهمًا فى كتابه»[1].

خامسًا: الهدية:

فالهدية لها أثرٌ عظيم فى تأليف القلوب ونشر المحبة بين

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٥٢).

العباد . . . . قال ﷺ : «تهادوا تحابوا»(١).

قال ابن عبد البر (رحمه الله): كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، وندب أمته إليها، وفيه الأسوة الحسنة ﷺ، ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تورث المودة وتُذهب العداوة»(٢).

سادسًا: الدعاء:

فالدعاء هو السهم الذى لا يُخطئ أبدًا . . فما عليك إلا أن ترفع يديك إلى من يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء، وتسأله (جل وعلا) أن يجعل قلبك سليمًا تجاه إخوانك المؤمنين.

وما أجمل أن تقوم فى جوف الليل حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا - نزولاً يليق بجلاله وعظمته - فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له»(٣) . . . فتسأل الله (جل وعلا) كل ما تريده وتتمناه.

فلقد كان من دعاء النبى ﷺ : «واسلل سخيمة قلبى»(٤).

واعلم أن من دأب الصالحين أن يدعو لإخوانهم، كما قال

---

(١) رواه أبو يعلى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٠٤).

(٢) التمهيد (٢١/١٨). (٣) أخرجه البخارى ومسلم.

(٤) صحيح سنن أبى داود/ للألبانى (١٣٣٧).

تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠).

سابعًا: أن تكون راضيًا عن الله (جل وعلا):

قال ابن القيم (رحمه الله) فى الرضى: إنه يفتح للعبد باب السلامة، فيجعل قلبه نقيًا من الغش والدغل والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضى، وكلما كان العبد أشد رضى كان قلبه أسلم، فالخبث والدغل والغش: قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه: قرين الرضى، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى»[١].

ثامنًا: حسن الظن بإخوانك المسلمين:

فإن حُسن ظنك بإخوانك يجعلك دائمًا نقى الصدر لا تحقد على أحدٍ ولا تحسد أحدًا ولا تحمل الكره والضغينة لأحدٍ.

كان الشافعى (رحمه الله) يقول: «من أراد أن يقضى الله له بالخير فليحسن الظن بالناس»[٢]، وقال محمد بن سيرين: «إذا بلغك عن أخيك شىء فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد له

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢١٦).

(٢) بستان العارفين (٣٢).

عذرًا فقل: لعل له عذرًا»[١]، وقال ابن مازن: «المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم»[٢].

تاسعًا: الصدقة:

من المعلوم أن الصدقة تطهر القلب وتزكي النفس وتؤلف بين القلوب... فالعبد إذا تصدق على أخيه المسلم فإن ذلك يزيد من رصيد المحبة بينهما.

وإذا كان النبي ﷺ قد قال: «داووا مرضاكم بالصدقة»[٣] فإن صاحب القلب المريض يحتاج أن يعالج قلبه بالصدقة ليصبح قلبه سليمًا لا يحمل غلاً ولا غشًا ولا حسدًا لأحدٍ من المسلمين.

عاشرًا: صوم ثلاثة أيام من كل شهر:

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «ألا أخبركم بما يذهب وحَرَ الصّدر، صوم ثلاثة أيام من كل شهر»[٤].

ووحر الصدر هو الغل.

* * *

---

(١) التوبيخ والتنبيه (١٢٨). (٢) آداب العشرة (٩).

(٣) رواه أبو الشيخ في الثواب وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

(٤) صحيح سنن النسائي/ للألباني (٢٢٤٩).

وأخــيرًا

أخي الحبيب: وها أنا أُذكرك بالقصة التى بدأت بها هذه الرسالة... وهى قصة الرجل الذى أخبر النبى ﷺ بأنه من أهل الجنة؛ لأنه لا يحمل فى صدره غلاً ولا غشًا ولا حسدًا لأحدٍ من المسلمين.

أخى الحبيب: ألا تحب أن تكون مثل هذا الصحابى الجليل لتفوز بالجنان وبرضوان الرحيم الرحمن (جل وعلا)؟

إذن فما عليك إلا أن تتعهد قلبك وأن تنقيه من الغل والحسد وأن تحب لإخوانك المسلمين مثلما تحب لنفسك.

أسأل الله (جل وعلا) أن يُصلح فساد قلوبنا وأن يؤلف بيننا وأن يرزقنا صُحبة النبى ﷺ وأصحابه فى الجنة... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)